ندوة علمية: النظريات اللسانية المعاصرة(الاتجاهات والتطبيقات)

الأستاذ: د. نسيم بوغرزة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامغة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.

التاريخ: 06 مارس 2024م.

محور المشاركة: المحور الأول: النظريات اللسانية المعاصرة: الأطر المرجعية، النشأة والتطور، والجهاز المفاهيمي.

عنوان المداخلة: المرجعيات التأسيسية للسانيات التحويلية: قراءة في المنطلقات المعرفية.

TheFoundationalreferences for transformationallinguistics:areading of cognitive principles.

ملخص:

تحاول هذه الدراسة الوقوف عند أهم المنطلقات التأسيسية والخلفيات المعرفية التي بنت عليها اللسانيات التحويلية إجراءاتها المنهجية والنقدية والتحليلية، بدءا من الرؤى غير اللغوية إلى التصوراتاللسانية، حيث ساهمت ظروف عدة في تبلور الفكر اللساني التحويلي عند نعوم تشومسكي، حيث انطلق من خلفيات سياسية، وأخرى نفسية وهي القول بالعقلانية الديكارتية في مقابل اللسانيات الوصفية الأمريكية التي مثلتها الدراسات السلوكية، إضافة إلى تبني المفاهيم الرياضية والتحليلات المنطقية، في مقابل ما كان سائدا في الدراسة من الوصف والتصنيف.

الكلمات المفتاحية: تشومسكي، اللسانيات التحويلية، اللسانيات التوليدية، المرجعيات.

Abstract:

This studyattempts to examine the most important foundationalstarting points and cognitive backgrounds uponwhich transformative linguisticsbuiltitsmethodological, critical, and analyticalprocedures, startingfrom non-linguistic visions to linguistic perceptions. Severalcirconstancescontributed to the formation of Noam Chomsky's transformative linguisticthought. Thesethoughtsstartedfrom certain political and psychological backgrounds related to the Cartesianrationalism in contrast to the American descriptive linguisticsrepresented by behavioralstudies. In addition, thispaperfocuses on the adoption of the mathematical concepts and logical analyses, in contrast to the description and classification thatwereprevalent at that time.

Keywords:Chomskytransformative linguistics, Generative linguistics،References.

مقدمة:

ظهرت في النصف الثاني من القرن الماضي اتجاه لساني جديد يتبنى طرحا مغايرا تماما للإجراءات المنهجية والمرجعية التي سادت قبل ذلك، فشكل ثورة معرفية كبيرة في تاريخ الدرس اللساني، عرف بالاتجاه التحويلي، أو اللسانيات التحويلية، ولمعرفة حقيقة هذا التوجه اللساني لابد من معرفة الخلفيات والأطر المرجعية التي استند إليها في بناء هذه النظرية، يمك التعبير عنتها بالرواسب التي كانت حافزا لقيامه.

يقوم كل بحث لساني كما هو معروف في التأريخ للنظريات اللسانية والاتجاهات اللغوية على ردود أفعال عن الاتجاهات السالفة له، يكون ظهور نظرية في معظمه نقدا لنظرية أو نظريات سابقة، ومن هنا كان الاتجاه التحويلي هو الآخر رد فعل على الوصف السلوكي الذي طغى على الساحة اللسانية في أمريكا، فكان أول بادرة لقيام اللسانيات التحويلية، أما من جهة أخرى فهناك مجموعة من المنطلقات الأخرى التي غذت المقولات التحويلية

لتتبلور في صورتها النظرية النهائية، فارتكز البحث على نقاط أربعة تتباين كمرجعيات معرفية لبناء النظرية النموذجية الموسعة كمرحلة أخيرة في اللسانيات التحويلية، وهي: المرجعية السياسية، والفلسفية والنفسية والرياضية، وهي موضوع التحليل فيما يلي.

1. المرجعية السياسية:

منذ النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي انحاز تشومسكي إلى التوجه السياسي بقوة بداية في مناهضة حرب الفيتنام، ويبدو أن توجهه هذا نابع من نشأته يهوديا في مجتمع أغلبه نصراني وقد تكونت آراؤه السياسية مبكرا فيما عرف بالمجتمع اليهودي الثوري في مدينة نيويورك وكعادة معظم الأقليات اليهودية كان يميل إلى نزعات متطرفة فقد كان فوضويا ثم اشتراكيا لكن شهرته السياسية كانت بفعل نقده اللاذع للسياسة الأمريكية الخارجيةخاصة في حرب الفيتنام التي عدها جرائم حرب (war crimes)[1]، وفيما بعد في منطقة شرق آسيا بأكملها ووسط أمريكا وجنوبها وبعدها في حرب الخليج.

وقد ألف تشومسكي في هذا كتبا كثيرة منها:

- ماذا يريد العم سام
- في الحرب مع آسيا
- وظيفة الجامعة في زمن الأزمة
- كمبوديا لاووس شمال الفيتنام جرائم الحرب
- حقوق الإنسان والسياسة الخارجية الأمريكية
- الهند الصينية والسياسة الأمريكية
- منظورات السلام

[1] جون ليونز نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ط1، 1985م، ص14

- الغزو سيستمر
- رقعة الشطرنج لاالكبرى
- تحويل التيار المد والجزر
- 501 سنة الغزو مستمر

وقد حاول بعض الباحثين دراسة الأصول الفكرية والسياسية والاجتماعية عند تشومسكي ومدى صلتها بحياته العلمية وخاصة في ميدان علم اللغة حيث رأى أن هناك علاقة وثيقة بين نظرة تشومسكي العقلية والفلسفية وبين آرائه السياسية والاجتماعية. ويؤكد جون ليونز ««أن نظرية تشومسكي اللغوية وفلسفته السياسية لا تنفصل إحداهما عن الأخرى كما قد يبدو للوهلة الأولى» ص14

وقد أكسبت هذه الآراء السياسية تشومسكي شهرة كبيرة بين العلماء والمثقفين وحتى في الأوساط العامة إضافة إلى شهرته العلمية بين علماء اللغة كونه واحا من ألف عالم أثر في الحياة الإنسانية في القرن العشرين

2. المرجعية الفلسفية:

من جملة ما ألفه تشومسكي كتاب اللسانيات الديكارتية، وقد قامت دراسته على نقد المدرسة الوصفية الأمريكية (السلوكية) كم هو ظاهر من مراجعته لكتاب السلوك اللفظي لسكينر، ونقد الطرح السلوكي لبلومفيلد، وقال إن عملية التعلم واكتساب اللغة ليست عملية آلية تخضر لمثير واستجابة بل هناك مكنونات لا تظهر سلوكيا تتحكم في هذه العملية، ومن هنا اتخذت المدرسة التخويلية مبدأ العقلانية منهجا لها في تحليل وفهم الظاهرة اللغوية. ومنطلق هذا التوجه المقولة الشهيرة لديكارت أنا أفكر إذن أنا موجود، وهو دليل على إثبات وجود الذات، أو ما يعرف بمبدأ الكوجيتون، الذي يسميه كانط الثورة

الكوبرنبقة، ومفادها أن الفكر هو المقياس الذي تقاس عليه الأشياء، وأن عالم الأعيان مقدور على قدر عالم الأذهان، وأن فهم العالم الخارجي متوقف على معرفة قضايا ومبادئ فطرية (Innate)، وليست وليدة التجربة. والقصد من هذا أن جوهر الأشياء يعود إلى حقيقة مجردة وليست ملموسة، وإنما هي البنية التحية العميقة المتمثلة في الفكر، وقد أخذ التحويليون هذا المبدأ واستخدموه في تحليل الظاهرة اللغوية، مع إضافة بعض العناصر التي تتماشى مع النظرية، إلا أن العلاقة بين اللغة والعقل وبين الفكر والعقل ليست وليدة الطرح التحويلي وإنما سبقوا من قبل الكثير من القدماء في توجيههم للغة والفكر إلى أنها مكنونات عميقة وليست ظواهر سطحية[2]

ويقترب تشومسكي كثيرا من موقف الفلاسفة العقلانيين خاصة ديكارت ويرى أي تشومسكي أن السلوك ال'نساني في جزء منه على الأقل لا يتحدد بالمثير الخارجي (External stimulus)، أو المذهب الفيزيائي/الطبيعي(Physicalism).[3]

وتقوم هذه الفكرة عند ديكارت على أن الحيوان آلة مجردة من التفكير يمكن تفسي تصرفاته بشكل آلي، أما الإنسان فعلى خلاف ذلك ولا يمكن إخضاعه للتفسير الآلي كونه يخضع للنشاط العقلي الذي لا يمكن التحكم فيه. إضافة إلى فرق اللغة بينهما، ويؤكد ديكات أنه لا يوجد 'نسان مهما كان غبيا لا يمكنه التعبير عن أفكاره بواسطة اللغة، بخلاف الحيوان فإنه مهما كان ذكيا فإنه لا يستطيع نقل أفكاره،[4] وإن كان قادرا على الكلام كالببغاء مثلا، فإن قدرته على الكلام لا تعدو أن تكون تقليدا ير واع.

---

[2] بدرة فرخي، محاضرات في المدارس اللسانية، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، 2007/2006م، ص17.

[3] جون ليونز، ص251

[4] عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م، ص121.

وهذا المنهج الديكارتي في التفريق بين الإنسان والحيوان هو الذي أصل للجانب الخلاق في اللغة (CreativeAspect)وهي الفكرة التي بدت أكثر وضوحا مع المفكر الألماني همبولت (Wilhelm von Humboldt) الذي يعده تشومسكي صاحب فضل كبير في ربط اللغة بالعقل وفي تقديم منهج توليدي لدراسة اللغة.[5]

يوكد همبولت أن اللغة عمل العقل وهي الصوت المنطوق الذي يمكن به التعبير عن الفكر، وهي ليست مجرد ظواهر شكلية، فهناك شكل خارجي آلي وشكل داخلي عضوي (Organic) والشكل الداخلي العضوي هو الأهم لأنه يتطور من الداخل، وهو الأساس في كل شيء، وهو البنية العميقة لما يحدث في السطح.[6]

ومن هنا كان النظر إلى تحليل اللغة لا كظواهر منفصلة من الكلمات وكلام الأفراد، ولكن باعدها نظاما عضويا تتداخل فيه كل الأجزاء وفق عملية توليدية تكون في البنية العميقة غير ظاهرة في السطح. وهي الفكرة التي فصل فيها تشومسكي القول كثيرا وعدها مبدءا من مبادئ المدرسة التحويلية.

أما مسألة شكل اللغة عند همبولت فإن تشومسكي يرى أنه يعني امتلاك اللغة (Possession of langage) ولا يعني ممارستها الفعلية، أي أنها تعني المصطلح الذي أطلقه هو بعد ذلك وهو الكفاءة اللغوية أو الملكة (Competance) ولا تعني مصطلح الأداء (Performance)، وعليه كانت كل قواعد اللغة الحقيقية قواعد عامة أو كلية (Universal) ثم تتحقق في شكل الأداء الفردي الذي يعبر عنه بالكلام.

3. المرجعية الرياضية:

---

[5] سمير شريف استيتية، اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، علم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2008م، ص174.

[6] المرجع نفسه، ص122-123.

تأثر تشومسكي بآراء والده لاسيما ما تعلق بالمنهج وإجراءات التحليل الرياضي ومن هنا حاولت المدرسة التحويلية إضفاء البعد الرياضي من خلال استثمار إجراءات التحليل الرياضي في صورة تختزل مجموع العلاقات اللغوية في شكل رموز رياضية وهي محاولة للارتقاء بالدرس اللغوي ارتقاء علمياً متطوراً حتى يخرج اللغة من مراحل الوصف الشكلي إلى التحليل المنطقي المشابه للتحليل الرياضي القائم على مجموعة من المبادئ(مبدأ التحرير مبدأ الفرضية مبدأ الشمولية مبدأ الإحكام) وتتجه في مجموعها نحو تقديم بيان تظهر فيه الرموز الرياضية رموزاً جبرية توصل إليها في ضوء ما يعرف بقواعد إعادة كتابة الجملة.

وعلى هذا الأساس بني النحو التحويلي على أسس وقواعد شكلية جعلته أكثر تجريدا باعتماده –أثناء العملية الاشتقاقية للجملة– رموزا تجريدية وعلاقات رياضية تبدو كأنها عمليات حسابية (الاحتواء الانتماء التقاطع اللوغاريتم...)

ويرجع سبب ذلك المنهج الشكلي (formel) إلى تأثير التطور العلمي خاصة البرمجة في الدراسات اللغوية

وكان تشومسكي حريصا على بلوغ هذا الهدف باعتماد الأسس الرياضية الذهنية حتى تكون نتائجه أكثر دقة وأقرب إلى العلمية وتجاوز مبدأ الاحتمالات وبذلك يمكن النظرية اللغوية تفسير وتحليل مختلف العلاقات المعقدة التي تحكم اللغات البشرية[7]

ويؤكدتشومسكي أن مقصوده«هوأن نحدد هذه الظواهر في خواصها الجوهرية بلغة الرياضيات؛ أي في أطر وأنظمة رياضية دقيقة... كل عالم يحاول أن تكون نظريته

[7] شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة، بيروت، ط1، 2000م، ص60.

دقيقة.وكلما كانت النظريات أدق أمكن حينئذ اللجوء إلى المثل الرياضية التي تحتوي على بعض ما تتصف به هذه النظريات من خواص».[8]

ولما كانت اللغة عنده نظاما بالغ التعقيد اقترح نماذج صورية يمكن منها دراسة أكثر من موضوع شريطة أن تؤدي هذه الموضوعات وظيفة متشابهة، أو بعبارة أخرى أن تشترك في طرق تأدية وظيفتها. وقد بردهن تشومسكي أن عددا كبيرا من القواعد التوليدية التي وضعت من قبل بالإمكان تصورها كنماذجمحدودة الحالات (automates finis).[9]

والمقصود من مصطلح التوليد عند تشومسكي هو مقصود رياضي خالص أشبه ما يكون بالمعادلة الجبرية: 2س+3ص-ز.

إذ نجد أن المتغيرات (variables) س ص ز يمكن تحديد قيمتها من خلال هذه المعادلة، وفق العمليات الرياضية العادية بحيث تولد مجموعة من النتائج ذات قيمة غير محدودة، بافتراض قيم محدودة للمتغيرات.[10] فإذا عوضت هذه المتغيرات بقيم ثابتة حصلنا على نتائج ثابتة، لكن إذا حصلنا على نتائج مختلفة فسنقول إن الشخص المطبق قد وقع في خطأ وليست القواعد هي الغامضة أو غير محدودة. وهذا التصور تماما هو الذي نظر به تشومسكي إلى القواعد النحوية، لأنها لابد أن تكون محددة بشكل صارم مثل القواعد الرياضية، أي أن تكون منطقية (Formalized)[11]

---

[8] مازنالوعر، حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية، مجلة اللسانيات، معهد العلوم الصوتية واللسانية، الجزائر، 1982م، عدد6، ص69

[9] ميشال زكريا،الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986م، ص117

[10] ينظر تفصيل هذه الاحتمالات: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص84-86.

[11] المرجع نفسه، ص86.

ويظهر صدق هذا المنهج في أن العلاقات بين بعض الجمل ملتبسة المعنى، بسبب ظاهرة الغموض، والا تكون واضحة ومفهومة إلا بواسطة الرموز التجريدية، ويدعم هذا الرأي تطور العقل البشري، فإنه كلما تطور كان إلى أميل إلى التجريد والتمثيل الذهنيينِ.

4. المرجعية النفسية:

تعد اللسانيات النفسية ألصق باللغة منها بعلم النفس، وهو فرع من فروع المعرفة الحديثة، وقد كان لتشومسكي ونظرياته دور بارز في إرساء قواعده، والسبب في ذلك أن الكثير من الأفكار التي امتاز بها هذا العلم كانت في الأصل مطروحة لتفسير بعض الظواهر النفسية في النحو التحويلي.[12] والحقيقة أن الظهور الأول لهذا العلم كانت أسبق خلال فترة خمسينيات القرن الماضين إلا الاهتمام بالجانب النفسي للغة بدأ نشأة علم النفس التجريبي أواخر القرن التاسع عشر، وكان علم النفس يعرف بانه العلم الذي يجرس الحياة الذهنية، على حد تعبير ويلهلم وونت (ت1920م).[13]

وعلى الرغم من أن اللسانيات وعلم النفس ينظران إلى اللغة من زاويتين مختلفتين إلا أن تشومسكي كان كثير الكلام عن الصلة بينهما، ووصل إلى القول إن اللسانيات فرع من فروع علم النفس، وليس فرعا مستقلا من فروع المعرفة ككل، إلا أنه ينفي أن يتحول موضوع اللسانيات من دراسة اللغة في ذاتها، إلى دراسة كيفية أدائها، أي أن تتحول من دراسة "الآراء اللغوية"، إلى دراسة "الأفكار اللغوية"، حيث يقول: "لإن من أهم الأسباب التي تدفنا إلى دراسة اللغة، ودراسة النحو التحويلي بصفة خاصة أن هذه الدراسة ذات قيمة واضحة في فهمنا وإدراكنا للعمليات العقلية، ومن هنا فإن اندماج اللسانيات وعلم

---

[12] جون ليونز، ص222

[13] تنظر آراؤه في هذه المسألة: محي الدين محسب، انفتاح النسق اللساني، دراسة في التداخل الاختصاصي، دار فرحة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2003م، ص118-120.

النفس واتحادهما معا إنما هو من أجل النتائج المهمة التي سيسفر عنها هذا الاندماج، وليس من أجل تغيير موضوعات اللسانيات ومناهجها".[14]

الحدس في اللسانيات التحويلية:

تردد كثير في كلام تشومسكي مصطلح الحدس (Intuition)، فقد أدى دورا مهما في هيكلة نظريته التحويلية، إذ يعرفه بأنه: "استعداد صاحب اللغة لفهم أية لغة، وإنتاج جمل تكون مفهومة للمخاطبين، مع إمكان ألا يكون قد تكلم بها من قبل أو سمعها مع"، أو "مقدرة المتكلم على الحكم بأصولية الجمل بصورة بديهية".[15] وكان الحدس هو المعتمد في تقرير مدى صحة التراكيب اللغوية المسموعة وقبولها، بعيدا عن الحضور الجاهز للوحدات اللغوية كما هو الحال في الاتجاه المعياري، ومن هنا كان الحدس كامنا ضمن الكفاءة اللغوية للمتكلم، كمادة للتحليل اللساني الأساسية.

ومما ينبغي الإشارة إليه التمييز بين الحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة وبينحدس اللساني الذي يقوم بتحليل اللغة؛فالأول يلجأإليه فقط من حيث إنه يُقدملنا المعلومات حول ما يشعر بأنّه قائم في لغته ولا يمكن حينها اللجوء إليه ليقدم لناالآراء حول طرائق تحليل المادة اللغوية، فاللساني يحلل المادة باعتماد نظريتهوتقنياته العلمية، في أما متكلّم اللغة فيقدم المعلومات عن الجمل التي نسائل حدسه حولها. فنتوصل من خلال مساءلة حدس المتكلم اللغوي إلى كفايته اللغوية. كما يفيد اللجوء إلى الحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة للباحث اللساني ملاحظة القضايا المهمة، واستنباط القوانين اللغوية من خلال الحدس اللغوي.[16]

---

[14] جون ليونز، ص211.

[15] ميشال زكريا، ص98.

[16] المرجع نفسه، ص98.

ومن هنا يمكن أن نقول إن الحدس عند تشومسكي يدل على التمثل الذهني (Mental representation) لقواعد اللغة، وعليه فأهمينه تكمن في جانبين أولهما إبداعي في إنتاج الجمل، والثاني تفسير في الحكم على النماذج المنتجة وتفسيرها.

إلا أن تشومسكي لم يدع قط أن حدس المتكلم ينبغي قبوله والمصير إليه من أول وهلة، كما لم يقل بتساوي الحدوس لدى المتكلمين، كما أن حدس المتكلم الواحد غير متساوية، بل متفاوتة بين تركيب وآخر أو بين موقف وآخر، وإنما تيم قبولها بعد التحقق والاختبار.

وقد أدى هذا الطرح النفسي في معالجة اللغة بالتوجه إلى دراسة العلاقة بين هذا السلوك والعمليات النفسية بدلا من كونها سلوكا خارجا قابلا للوصف يخضع لمبدأ المثير والاستجابة.

خاتمة:

يمكن الخصول إلى مجموعة من النتائج، منها:

- أن الدرس اللساني التحويلي نتاج رواسب عدة مختلفة المشارب.
- أثر التوجه العقلاني عنج تشومسكي إلى تبني مبادئ وأفكار جلها أقرب إلى التجريد منها إلى الوصف
- يعد التحليل والتفسير بديلا عن الوصف والتصنيف في اللسانيات التحويلية.
- قامت المدرسة التحويلية على نقد الوصفية السائدة الغالية في التجريب المخبري والتعميم السلوكي الحيواني على النشاط اللغوي البشري

قائمة المصادر والمراجع:

1. بدرة فرخي، محاضرات في المدارس اللسانية، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، 2007/2006م.
2. جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ط1، 1985م.
3. سمير شريف استيتية، اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، علم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2008م.
4. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة، بيروت، ط1، 2000م.
5. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م.
6. مازنالوعر، حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية، مجلة اللسانيات، معهد العلوم الصوتية واللسانية، الجزائر، 1982م، عدد6.
7. محي الدين محسب، انفتاح النسق اللساني، دراسة في التداخل الاختصاصي، دار فرحة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2003م.
8. ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986م.